سلسلة معارف (١)

الاستعاذة والبسملة

مدخل تفسيري ومعرفي

تأليف

الشيخ ليث العتابي

هوية الكتاب:

اسم الكتاب: الاستعاذة والبسملة

تأليف: الشيخ ليث العتابي

الطبعة: الأولى.

السنـــة: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.

المطبعة: دار الوارث

المقدمة
بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً**﴾[1].

إن هنا محورين أساسيين قد دلت عليهما الآية المباركة، هما:

الأول: الشفاء:

فإن الشفاء يتحقق بجملة أمورٍ مهمة، وهي الأمور الممدوحة، والحسنة، التي تحقق الشفاء، ومقدمة ذلك هو أن يستعيذ الإنسان، وبالخصوص الإنسان المؤمن بالله تعالى من الشيطان الرجيم، فذلك هو أول وأساس الشفاء.

الثاني: الرحمة:

فالرحمة ـ كذلك ـ تتحقق بجملة أمورٍ مهمة، حسنة، وجيدة، ومفيدة، تحقق الرحمة، ومنها استشعار الرحمة، وذلك من خلال ذكر رحمة الله تعالى، والتأسي بها، ومصداقها (البسملة) التي هي من أهم الآيات في القرآن الكريم.

إن البحث عن المراد بـ (الاستعاذة) و(البسملة) تفسيرياً ومعرفياً مهم جداً، سوآءا عن طريق تفسيرهما، أو الكشف عن المراد بهما، أو عن طريق معرفة الفوائد المترتبة عليهما، وهذا يحتاج إلى توضيح كل ما يتعلق بهما قدر الإمكان.

إن بحثنا ـ هذا ـ الذي يتناول (الاستعاذة) و(البسملة) هو بحثٌ تفسيريٌ معرفيٌ، كما نوهنا مسبقاً، وهو بحثٌ يحاول الابتعاد عن التعقيد، أو العبارات الصعبة، أو المطالب المتشعبة، إذ ان هدفه هو توضيح المراد بهما، بأسلوبٍ سهلٍ يسيرٍ، مع الإحاطة بكل ما يتعلق بهما من موارد معرفية، وذكر الشواهد القرآنية والحديثية والتفسيرية الموضحة أو المؤيدة لهما.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٢).

تفسير الاستعاذة

(أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم)

الاستعاذة لغة واصطلاحاً

إن من أساسيات التعرف على المبحوث؛ هو التعرف على ماهيته وحقيقته، أو ما يسمى بـ (تعريفه)، من حيث اللغة والاصطلاح، وهذا ما سيكون في تعريف الاستعاذة لغةً واصطلاحاً.

الاستعاذة لغة:

هي الالتجاء والاعتصام بالغير، يقال: عاذ بفلان، أي لاذ به ولجأ إليه واعتصم[1]. وحقيقة الاستعاذة ـ في جملة من التفاسير ـ هي: استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه[2]، أو هي: استدفاع الأدنى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل[3].

الاستعاذة اصطلاحاً:

ليس للاستعاذة اصطلاح خاص. نعم، تطلق غالباً على قول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، أو (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)، ونحو ذلك، والمعنى: أستجير بالله تعالى دون غيره[4].

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[5].

قال في المحرر: إذا أردت أن تقرأ وشرعت، فأوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته[6]. وتلك هي بلاغة القرآن الكريم، الدالة على مصدره الإلهي، والحفظ الرباني له من كل تحريف أو تشويه أو تلاعب.

---

(١) ظ: ابن الأثير، النهاية: ٣: ٣١٨.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١: ١٣١.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٣: ٣٨٥.

(٤) ظ: الطوسي، التبيان: ١: ٢٢.

(٥) سورة النحل، الآية (٩٨).

(٦) ظ: الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز: ١: ٤٠.

آداب وأحكام الاستعاذة

إن الاستعاذة مستحبة في نفسها في كل زمان وفي كل مكان، وقد تكون مستحبة لغيرها، كاستحبابها عند قراءة (القرآن الكريم)، وفي القراءة في (الصلاة)، وعند دخول (الحمام)، وغيرها[1].

كما ولا شك أن الاستعاذة تطهّر اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله تعالى؛ ليستعد لذكره، ولتنظيف القلب من الوسوسة والغلط والنسيان والرياء والعجب ونحوها[2]. فهي فرار من مظاهر الشيطان إلى عالم التوحيد ومظاهر الحق تعالى[3].

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

أي: التجأ إليه، وأتحصن به تعالى.

نعم، فمن الناحية العملية لا بدّ أن تترك الاستعاذة اللفظية أثرها على الإنسان لتجعله ملتجأً إلى الله تعالى فاراً إليه[5].

إن أدب المداومة على الاستعاذة، أو ذكرها في محلها؛ للحفظ من وسوسة الشيطان الرجيم، ومن إغوائه، ومن خطواته، ومن خطراته، ومن تسويله، ومن إضلاله، ذلك أنه السبب في الضلالة، والباعث على الغواية والجهالة[6]

فإن الشيطان هو العدو الأول والأخير، وهو العدو الأكبر، وكيده هو الكيد العظيم، دلت على ذلك آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[7].

---

(١) ظ: الشهيد الأول، الذكرى: ٣: ٣٣٠.

(٢) ظ: الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي: ١: ٧٩.

(٣) ظ: الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم: ٢: ٢١٧.

(٤) سورة فصلت، الآية (٣٦).

(٥) ظ: الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم: ٢: ٢١٧.

(٦) ظ: القاري، علي، مرقاة المفاتيح: ٢: ٤٤٨.

(٧) سورة فاطر، الآية (٦).

لذلك فإن الاستعاذة هي تطهيرٌ للفهم ـ وبالتالي للروح ـ من كل أنواع اللغو، وهي استعانة بالله تعالى، واعتراف له سبحانه بالقدرة والسلطان، وتقويةٌ على العدو الأكبر ألا وهو الشيطان الرجيم، والدخول في حصن الله الحصين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

(١) سورة الحجر، الآية (٤٢).

معاني الفاظ الاستعاذة

إن معنى الاستعاذة: الاستجارة والتحيز إلى شيء، الامتناع به من المكروه.

١ـ (أعوذ بالله): فـ (أعوذ): أي: ألوذ وألتجئ وأعتصم بك يا (الله). و(أعوذ بالله): أي: استجير بالله تعالى دون غيره، والعوذ والعياذ هو اللجأ.

٢ـ (من الشيطان): فـ (الشيطان) مشتق من (فيعال)؛ من شطن إذا بعد؛ لأنَّه بعد عن الخير وعن رحمة الله تعالى.

فـ (الشيطان) في اللغة هو: كل متمرد من الجن والأنس والدواب، وجاء في القرآن الكريم (شياطين الأنس والجن)، ووزنه (فيعال) من شطنت الدار أي: بعدت، وقيل هو (فعلان) من شاط يشيط إذا بطُل.

٣ـ (الرَّجيم): فهو فعيل بمعنى مفعول؛ كقتيل وجريح ونحوه، ومعناه أنه رجيم باللعنة والمقت وعدم الرَّحمة، أو من الرجم وهو الرمي.

يقول الشيخ الطبرسي: «أمر الله بالاستعاذة من الشيطان، إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان، فقال "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"، ومعنى أعوذ الجأ إلى الله من شر الشيطان، أي: البعد من الخير المفارق أخلاقه أخلاق جميع جنسه، وقيل المبعد من رحمة الله، والرجيم أي: المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة»[1].

نعم، إن من الواجب الإسلامي الاستعاذة بالله تعالى من شرور شياطين الجن والإنس؛ للتخلص من الوساوس التي يلقيها الشيطان (جني أو إنسي) على قلوب المؤمنين، ليحرفهم عن جادة الطريق الصحيح، أو ليزلزل إيمانهم بالله تعالى.

وهذا لا يعني أن له سلطاناً قوياً على الإنسان، بل إن سلطانه محدود على من هم يتبعونه ويطيعونه من جنوده، وهذا واضح في تكملة الآية، وبيان جوابها.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[2].

فإن تأثير الشيطان محدود على من هم أتباع له، وضعفاء أمام مغرياته، وعلى أصحاب النفوس الشريرة.

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٨٩.

(٢) سورة النحل، الآيات (٩٨ ـ ١٠٠).

صيغ الاستعاذة

إن صيغ الاستعاذة هي: (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**).

ففي حديث لأبن مسعود قال: «قرأت على رسول الله فقلت: أعوذ بالله السميع العليم. فقال لي: يا ابن أم عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أقرأنيه جبرئيل»[1]. وقد ورد النص بذلك عن النبي ﷺ أنه هكذا تعوّذ[2].

ولقد وردت عدة صيغ للتعوذ، إلا أن المتفق عليه، وما عليه المشهور، وما وردت أغلب الأحاديث فيه، وهو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

كما ولقد وردت لها صيغ مختلفة، مثل: (أعوذ)، و(أتعوّذ)، و(أُعيذ)، و(أعذني)، و(أستعذ)، و(معاذ الله)، وغيرها من الصيغ، والتي تختلف باختلاف الحالات والظروف، وأكثرها استعمالاً ما جاء بلفظ (أعوذ)، ثم إن صيغ (الاستعاذة) تختلف باختلاف المستعاذ به، والمستعاذ منه، وهذا ما سنوضحه في البحث اللاحق.

نعم، يمكن ذكر ستة صيغ متداولة للاستعاذة هي:

١ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ وهي أصح الصيغ.

٢ـ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٣ـ أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.

٤ـ اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه.

٥ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم.

٦ـ أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم.

إن أغلب الصيغ المتعددة والمتكثرة للاستعاذة هي ما نقلت عن القُراء، أو وجدت في جملة من كتب التفسير، ويمكن للباحث تتبعها إذا أراد التفصيل أكثر.

---

(١) الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ٢: ٤٧ـ٤٨.

(٢) ظ: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ٥: ٢٥٣.

توضيح المستعاذ به والمستعاذ منه

إن من المهم ـ هنا ـ توضيح المراد بـ (المستعاذ به)، و(المستعاذ منه)، ودلالة كلٍ منهما:

١ـ المستعاذ به:

إن المستعاذ به هو الله سبحانه وتعالى، وقد يكون بلفظ معين كلفظ الجلالة (الله)، فيقال: (أعوذ بالله)، وقد يكون بصفة من صفاته كـ (الرحمن)، فيقال: (أعوذ بالرحمن)، وقد يكون باسم من اسمائه الحسنى وهي كثيرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٢].

كما وقد ورد النهي عن الاستعاذة بغير الله تعالى وأوليائه، فالاستعاذة بغير الله تعالى وأولياءه غير مشروعة.

٢ـ المستعاذ منه:

لقد جاءت الاستعاذة من أمور كثيرة، أهمها الشيطان الرجيم، وذلك واضح بين بآيات القرآن الكريم، ونصوص الحديث الشريف عن المعصومين عليهم السلام، كما وأن هناك أدعية كثيرة نُقلت عن المعصومين عليهم السلام تذكر وتؤكد على الاستعاذة، ومنها دعاء (الاستعاذة) الوارد في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليه السلام، والذي يقول فيه عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة... ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان، أو يتهضمنا السلطان... ونعوذ بك من الحسرة العظمى، والمصيبة الكبرى، وأشقى الشقاء، وسوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب...»[٣].

وأحاديث أخرى قد وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الاستعاذة من مضلات الفتن، ومن سوء الخلق، ومن النار، ومن عذاب القبر، وغير ذلك مما ورد عنهم، ونقل في كتب الحديث

---

(١) سورة الفلق، الآية (١).

(٢) سورة الناس، الآية (١).

(٣) الصحيفة السجادية: ٥٧ـ ٥٩.

المواطن التي وردت الاستعاذة بها

إن من المهم ذكر المواطن التي قد وردت الروايات والأحاديث في لزوم ذكر الاستعاذة فيها، منها:

١ـ الاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم

فإن الاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم مستحبة، وسواء أكانت في الصلاة أو خارجها[١]، وقد اتفق القرّاء على التلفظ بها قبل التسمية[٢].

٢ـ الاستعاذة للقراءة في الصلاة:

إن المشهور هو استحباب الاستعاذة عند القراءة في الصلاة[٣]، بل أدعي الإجماع على ذلك[٤].

٣ـ الاستعاذة عند قراءة آية نقمة:

إن من المستحب إذا مر القارئ بآية (نقمة) تعوذ منها[٥]، وقد وردت الروايات في ذلك.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو، ويسأله العافية من النار ومن العذاب»[٦].

٤ـ الاستعاذة لدفع السهو في الصلاة:

فقد ورد من أنواع العلاج للسهو في الصلاة عدة علاجات منها وأهمها هي الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم.

وذلك بأن تطعن فخذك الأيسر بأصبعك اليمنى المسبّحة إذا دخلت في الصلاة وتقول ـ كما ورد في خبر السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام ـ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام بأن يفعل المكلف ـ ما تقدم ـ ويقول: «...بسم الله وبالله، توكلت على الله، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإنك تنحره وتطرده»[٧].

٥ـ الاستعاذة في أماكن وأوقات وأفعال معينة: وقد أوردت الكتب المختصة ذلك، ومنها كتب الفقه.

---

(١) ظ: الطوسي، التبيان: ٦: ٤٢٥، الطبرسي، مجمع البيان: ٣: ٣٨٥.

(٢) ظ: الطوسي، التبيان: ١: ٢٢.

(٣) ظ: الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان: ٢: ١٩٨.

(٤) ظ: الطوسي، الخلاف: ١: ٣٢٥.

(٥) ظ: الطوسي، الخلاف: ١: ٤٢٢، الحلي، العلامة، شرائع الإسلام: ١: ٨٣.

(٦) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٦: ٦٩.

(٧) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٨: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

إعراب الاستعاذة

إن إعراب آيات القرآن الكريم مهم جداً، وبالخصوص إعراب مفردات (الاستعاذة)، وتوضيح دلالة المفردات فيها.

١ـ أعوذُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا.

٢ـ باللهِ: الباء حرف جر مبني على الكسر لا محل من الإعراب، واسم الجلالة في محل جر بحرف الجر، وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أعوذ.

٣ـ من: حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

٤ـ الشيطانِ: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة. وشبه الجملة متعلق بالفعل أعوذ.

٥ـ الرجيمِ: صفة للشيطان مجرورة وعلامة جرها الكسرة، وجملة الاستعاذة جملة ابتدائية لا محل لها من الأعراب.

قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[1].

فإن المراد بإعراب القرآن الكريم هو: البحث في تخريج تراكيبه على وفق قواعد النحو الموجودة، كما عليه التعريف المشهور.

ملاحظة مهمة: لقد وقع الاختلاف في (قواعد النحو) التي لا بدّ من الرجوع إليها في إعراب القرآن الكريم خصوصاً على رأيين:

الرأي الأول: أنها قواعد النحو العربي.

الرأي الثاني: أنها قواعد النحو القرآني.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ٨٩: ١٠٦.

فضل الاستعاذة

إن من المهم ذكر فضل الاستعاذة، وما يتعلق بذلك من موارد.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أغلقوا أَبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أَبواب الطاعة بالتسمية»[1].

فإنه عليه السلام ـ هنا ـ يشير إلى أهمية الاستعاذة في إغلاق أبواب المعصية من جانب، وإلى فتح أبواب الطاعة من جانب آخر، وهذا مهمٌ جداً للإنسان المسلم.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، فقال عليه السلام: «نعم، فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم»[2].

فإن الإمام الصادق عليه السلام هنا ـ يشير إلى أهمية وفضل الاستعاذة عند قراءة كل سورة من سور القرآن الكريم.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «أَما قوله الذي ندبك الله إليه، وأَمرك به عند قراءَة القرآن: أَعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإِن أَمير المؤمنين عليّ قال: وإن قوله: أَعوذ بالله أي أمتنع بالله والاستعاذة هي ما قد أَمر بالله به عباده عند قراءَتهم القرآن، لقوله: وإِذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن تأَدّب بأَدب الله أَدّاه إلى الفلاح الدائم»[3].

إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام يشير إلى فضل الاستعاذة، وإلى آدابها المهمة جداً عند ذكرها، بل ضرورة ذكرها، مع التأكيد عليها، فإن الأعمال تقاس بالأفعال، والأفعال مرتبطة بالنيات الحقيقية الصادقة قولاً وعملاً.

ففي حديثٍ منقولٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه: «إن أَردت أَن لا يصيبك شرُّهم ولا يبدؤوك مكرُهم فقل إِذا أَصحبتَ :أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإِنه يعيذك من شرّهم»[4].

فإن ذلك واضحٌ، دالٌ على أهمية الاستعاذة لدفع كل شر، ولجلب كل خير، فإن ذكرها شفاء، وذكر البسملة رحم

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ٩٢: ٢١٦.

(٢) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٢: ٨٤٨.

(٣) العسكري، الإمام الحسن، تفسير الإمام الحسن العسكري: ٥.

(٤) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون: ٢ : ٦٢.

حكم الاستعاذة

إن الاستعاذة مستحبة، وذلك عند تلاوة القرآن الكريم، بل وفي كل أمر يراد فعله، وبالخصوص حالات الجزع والغضب، والانتظار، والعوز، والصبر على أذى الآخرين.

قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ): «الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة، بلا خلاف»[1].

فإن الاستعاذة مستحبة في نفسها ـ في كل زمان، وقد تكون مستحبة لغيرها، وذلك كاستحبابها عند قراءة القرآن الكريم، وفي القراءة عند الصلاة، وعند القيام بأمور أخرى ذكرتها الروايات والأحاديث.

نعم، فلقد أورد الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ) بأن الأمر في الاستعاذة هو القول بالندب بالاتفاق[2]. وبهذا الاستحباب ـ كذلك ـ قال أبو حنيفة وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق[3].

إن المشهور هو استحباب الاستعاذة عند القراءة في الصلاة، ولقد أدعي الإجماع على ذلك، والأدلة على ذلك كانت من القرآن الكريم ومن الروايات الشريفة، والتي دلت على الاستحباب.

كما وإن المشهور بين الفقهاء هو استحباب الإسرار بالاستعاذة، حتى في الصلاة الجهرية، ولقد أدعي الإجماع على ذلك.

ثم إن الاستعاذة لا تتدارك إذا فاتت عمداً أو سهواً، وذلك لفوت محلها، فلا يمكن للمكلف قضاءها.

---

(١) الطوسي، تفسير التبيان: ١: ٤٢٥.

(٢) ظ: الشهيد الأول، الذكرى: ٣: ١٣١.

(٣) ظ: معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع: ١: ٢٩٧.

تفسير وتوضيح حول الشيطان الرجيم

لا تخلو (الكتب المقدسة) في مختلف الأديان من ذكر مصطلح (الشيطان)، وأسماءه، وطبيعته، وصفاته، وحاله.

إن الشيطان: هو مفهوم كلي يشمل الأشرار الجن والإنس، وإن (إبليس) هو أبرز (الشياطين)، بل هو قائدهم.

فإن كلمة الشيطان مأخوذة إما من (شطَن) بمعنى تمرّد وابتعد عن الحق، وإما من (شيَط) أي احترق غضبا[1].

قال أبو عبيدة: إن الشيطان كل عاتٍ متمرِّد من إنس أو جن، مستشهداً على ذلك بالآية القرآنية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[2].

قال الراغب الاصفهاني: «إن الشيطان هو كل ذي صفة ذميمة من إنسان أو جنِّي أو حيوان، كل ذميم ذمّا مطلقا»[3].

إن الشيطان بهذا المعنى هو من تمرد على أمر الله تعالى ويقاومه مدعيا الأفضلية لنفسه على الآخرين، وهذا يعني أن الشياطين ليسوا ملحدين، بمعنى إنكار وجود الذات الالهية، بل هم يؤمنون بوجوده تعالى وهيمنته، ولذلك طلب إبليس زعيم الشياطين من الله تعالى مهلة، فهو يعرف أن حياته بيد الله تعالى وليس غيره، ومشكلته هي تكبره وحسده لآدم الذي تبيّن أنه هو وكثير ممن في صلبه أفضل منه.

كما وإن كلمة (إبليس) عربية وهي من الفعل بَلَسَ بمعنى طُرِدَ، ليكون معنى إبليس هو (المطرود من رحمة الله)، كما يؤكد كثير من اللغويين أن معنى الفعل بلس هو يئس فيكون معنى إبليس بذلك (الذي يئس من رحمة الله)، ولفظة إبليس كذلك تأتي في معنى الضلال، والدهشة، والسكوت[4].

---

(١) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب: ٣: ٢٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٣) الاصفهاني، الراغب، المفردات: ٢٦١.

(٤) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب: مادة (بلس).

كثيرة هي الأحاديث والمرويات التي تدل على أن اسم (إبليس) مشتق من الإبلاس، كما أن كتّاب اللغة يرجحون اشتقاقها من اللغة العربية، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بشواهد عديدة.

إن العلماء الذين يعدون لفظ (إبليس) لفظة عربية، يعتبرونها ممنوعة من الصرف ويقولون: إن سبب عدم انصرافها ربما يرجع إلى استثقال حركة الجرّ في آخرها، وإضافة إلى ذلك، فإن هذه اللفظة (إبليس) ليس لها نظير في اللغة العربية، ولم يوافق أن تسمّى بها أحد طوال الأزمنة الماضية، وهذا ما دفع العرب إلى اعتبارها شبيهة بالأسماء الأعجمية، واستخدموها بصيغة ما لا ينصرف.

ويقال بأن معنى إبليس: اليائس، يعني أبلس من رحمة الله، وقبل أن يشتهر إبليس بهذا الاسم كان يُدعى: (عزازيل)، وهو أسم سرياني ويعني المعز من الله، كما كان يدعى (الحارث)، أو (مُرّة)، أما كنيته فهي: (أبو كردوس)[1].

(١) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب: مادة (بلس).

الشيطان في القرآن الكريم: لمحة عامة

لقد ورد أسم الشيطان في الأسفار التوراتية غير القانونية بصيغة (ساتان) أو (ساتانا إيل)، وفي السريانية بصيغة (سوتونو)، وفي القرآن الكريم الشيطان اسم عام وكلي يصدق على أفراد عديدين من الجن والإنس وأبرزهم إبليس.

يستخدم القرآن الكريم الاسم (إبليس) في سرده لقصة سقوطه التي تشبه بحدود معينة العناصر نفسها الموجودة في الأسفار التوراتية غير القانونية، وفي نصوص (الهاجاداه) التي عدت جزءاً من الأدبيات التلمودية، أما بعد سقوط إبليس وتحوله إلى عدوٍ للإنسان، فإن القرآن الكريم يستخدم لفظ (شيطان) في ذكر أخباره حول نشاط (إبليس) وجنوده وصولاً إلى اليوم الآخر.

لقد عُرف إبليس في القرآن الكريم بصفات: التكبر، والخيلاء، والعصيان، والتمرد، والكراهية، والحسد، والباطل، والغواية، والخبث، والخداع.

إن إبليس كائن خبيث وشرير، وافتضاح حقيقته كانت سبباً للتمييز ما بين الخير والشر في الطرح الأخلاقي.

لقد كان آدم عليه السلام نبياً، ومن خلاله تم وضع مقاييس للسلوك القويم، وهي مقاييس منسجمة مع ما هو طبيعي في حياة الإنسان، ومع ما هو قيمي يحقق مصلحة النوع الإنساني كله.

إن القرآن الكريم يحدثنا عن إبليس، ويكشف عداءه الجذري للإنسان، فهو كبير الشياطين، كان من الجن العابدين لله تعالى، وبسبب عبادته التي امتدت لـ(ستة آلاف سنة)، كرّمه الله ورفعه إلى الملأ الأعلى.

رغم ذلك فقد أطلق إبليس وعيده بإغواء آدم وذريته، إذ قد سقط في الامتحان، فلعنه الله تعالى لعنة متواصلة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

والتوعد بإغواء الناس يعني: أن إبليس نزل إلى الأرض مع آدم، ليستمر الصراع بين آدم وذريته من جانب، وإبليس وجنوده من جانبٍ آخر.

---

(١) سورة الحجر، الآيات (٣٥ـ٣٩).

الشيطان والإنسان

لا بدّ هنا من التطرق إلى علاقة الشيطان مع الإنسان، وطبيعة هذه العلاقة، وما يتعلق بها من أمور وموارد.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1].

لقد كان إبليس يرى نفسه أفضل من آدم، وإن طرْده من الملأ الأعلى كان ظلماً، وكان يُحمِّل آدم مسؤوليّة سقوطه، ولذلك قرّر الانتقام منه، ومن ذرِّيته من بعده، فطلب مهلة لأجل ذلك. لكن الحقيقة هي أن آدم بريء من مدعيات إبليس، فهو لم يكن أفضل من آدم، وسبب الطرد يتعلق بإبليس ذاته، لأن تكبّره وجحوده هو ما أسقطه، كما ورد في القرآن الكريم.

لقد طلب إبليس أجراً على عبادته لآلاف السّنين، وقال: إنه يريد أن يكون أجره مهلة لإغواء آدم وذريته، فأعطاه الله تعالى المهلة، وقال له: لقد أعطيتك دائما حريّتك، وسأعطي آدم أيضاً وذريته حريَّتَهم، ولن يتبعك المؤمنون، وأصحاب العقول.

إن إبليس توعد بأن يقعد للناس الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الوحي، وهو طريق الأنبياء عليهم السلام، والشخص المؤمن، وكما ورد في القرآن الكريم، لا يختار شيئا آخر غير الوحي لأنه هو الصراط المستقيم، وطريق الخير، وجادة النجاة.

إن الشيطان لا يستطيع أن يغوي كل الناس، بل فقط غير المؤمنين، فهو يوسوس للناس ويزيّن لهم السوء، وكان قراره هو إدخال أكبر عدد ممكن من الناس إلى جهنم، ولا يمكن ذلك إلا بممارسة الإغواء أي تحويل الحلال إلى حرام والحرام إلى حلال، والخير إلى شر والشر إلى خير، والطيب إلى خبيث والخبيث الى طيب، وذلك من خلال اللعب على العقول وتبرير الأهواء على أساس التأوّل والتزيين لتصبح البشاعة جمالاً في وعي الناس وعيونهم، والمكان الأفضل للإغواء هو مراكز القرار ، لأن ذلك يمثل المدخل الأنجع لإضلال الناس بأعدادٍ كبيرةٍ جداً.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات (١٦ ـ ١٧).

تفسير الاستعاذة

١ـ (اعوذ): أي: ألتجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الكهف الحصين، وهو أفضل من يُلتجئ له سبحانه وتعالى علواً كبيرا.

٢ـ (بالله): الباء قدمت في دلالة على الاستعانة، والاستعانة هنا هي بالله سبحانه وتعالى، فهو المستعان في كل الامور، وعلى كل الامور.

٣ـ (من الشيطان الرجيم): أي: استعيذ بالله تعالى من الشيطان، والذي هو رجيم ومرجوم ومبعد عن رحمة الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

إن المراد بتقديم الاستعاذة في كل أمرٍ عموماً، وقبل قراءة القرآن الكريم بشكلٍ خاص، هو للدلالة على أن لها فوائد كثيرة وكبيرة جداً، ولا بدّ من تقديم الكلام بها ـ بالاستعاذة ـ للتخلص من الشيطان كمسبب للذنوب والانحرافات، على أن نستعيذ منه ومن كل ما يؤدي بنا إلى ما يريده الشيطان الرجيم، أو من هو على شاكلته.

وهنا لا بدّ من البحث عن مسببات الذنوب والانحرافات وهي:

أ ـ الشيطان الرجيم: وهو الذي له سبق بالعداوة مع الإنسان الأول، مع أبينا آدم، والذي وعد باستمرار العداء إلى يوم القيامة.

ب ـ النفس الأمارة بالسوء: أو النفس الشريرة الموجودة داخل الإنسان، والتي تسير به نحو طريق المهالك، فتجعله أسوء هالك.

جـ ـ قرين السوء: أو رفيق السوء، فكم من صاحب أغوى صاحبه فأدى به إلى الهلكة.

د ـ تراكمات الأيام السابقة: ونقصد بها الأيام السابقة من أيام السوء، وأيام الانحرافات، والماضي السيء للإنسان.

فهذه أربع مسببات تسبب الذنوب والانحرافات، وعند إرادة التخلص من مسببات الذنوب والانحرافات، لا بدّ من التخلص منها جميعاً، وهنا فإن على الإنسان مراجعة نفسه؛ لكي يعرف أيها يؤثر عليه، ولو قسمناها تقسيماً بحسب التأثير فإنها ستقسم إلى عاملين داخليين، وعامليين خارجيين، كالآتي:

أولاً: العاملان الداخليان:

١ـ النفس الأمارة بالسوء.

٢ـ تراكمات الأيام السابقة.

ثانياً: العاملان الخارجيان:

١ـ الشيطان.

٢ـ قرين السوء.

وبالوجدان فإن العوامل الداخلية هي أكثر تأثيراً من العوامل الخارجية، وبالوجدان كذلك فإن قرين أو رفيق السوء أكثر تأثيراً من الشيطان الرجيم، وهذا ليس دفاعاً عن الشيطان، أو تبرير من نوعٍ ما، لكنه خطاب منصف للنفس، للإنسان، بأن لا يلقي ذنوبه على شماعة الشيطان الرجيم، نعم قد يكون له أثرٌ في كل العوامل المذكورة، لكننا وبما أننا ننطلق من النفس بما هي نفس، وبتجردٍ تام، لذا فإن على الإنسان مراجعة نفسه، ومعرفة العوامل المؤثرة عليها.

تفسير البسملة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

البسملة في اللغة والاصطلاح

البسملة في اللغة:

البسملة: مصدر منحوت من (بسم اللهّ) وبمعنى قول بسم اللهّ أو كتابتها، يقال :قد أكثرت من البسملة، أي من قول بسم اللهّ أو كتابتها، وبسمل بسملة، إذا قال أو كتب :بسم اللهّ، ومثله (حمدل) و(هلّل) و(حسبل) و(حيعل) و(سبحل) و(حولق) أو حوقل)، إذا قال أو كتب، الحمد للهّ، ولا إله إلاّ اللهّ، وحسبنا اللهّ، وحيّ على الصلاة، وسبحان اللهّ، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللهّ[1].

البسملة في الاصطلاح:

إن البسملة في الاصطلاح قد استعملت في نفس المعنى اللغوي، كذلك استعملت تخفيفاً لـ(بسم الله) أو لـ (بسم اللهّ الرحمن الرحيم) من دون دلالة على المعنى المصدري، فالبسملة قد تكون مصدراً، وقد تكون كلمة مخفّفة.

أما الألفاظ ذات الصلة بها فهي (التسمية): وقد استعملت في كلمات الفقهاء بمعانٍ منها: بسم الله، ومنها: قول ما اشتمل على ذكر الله تعالى من بسملة أو تحميد أو تكبير أو تسبيح أو نحوها، ومن ذلك قولهم: إن من جملة شرائط حلية الذبيحة التسمية، فإن المراد بها مطلق ذكر الله تعالى من غير اختصاص بالبسملة[2].

إن البسملة يقصد بها ذكر الله سبحانه وتعالى، وقد وردت في القرآن الكريم (١١٤) مرة، في بداية كل سورة قرآنية ما عدا سورة (التوبة)، وقد تكررت مرتين في سورة (النمل)، وهي تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيّما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل، وفي اختيار صفتي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ما فيه من البشارة للإنسان، من كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، وفيها إرشاد إلى تعليم الإنسان لتوخّي الرحمة والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى، ليعرف أنّه مؤمن باللهّ سبحانه وتعالى.

---

(١) ظ: الأزهري، تهذيب اللغة: ١٣: ١٥٥ـ١٥٦، والأفريقي، ابن منظور، لسان العرب: ١: ٤١٢.

(٢) ظ: الشهيد الثاني، مسالك الأفهام: ١١: ٤٧٨.

معاني ألفاظ البسملة

إن هذه الآية المباركة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيّما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل وفي اختيار صفتي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ما فيه من البشارة للإنسان، من كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، مهما تعددت أسباب الشر وقويت.

نعم، فيها إرشاد إلى تعليم الإنسان لتوخّي الرحمة والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى، ليعرف أنّه مؤمن بالله سبحانه وتعالى، وأن لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال، لأنّه المحتاج، بل لا بدَّ له من إيكال أمره إلى الغني المطلق[1].

١ـ (الباء): الباء للاستعانة، لأنّ الإنسان مفتقر بذاته، والمحتاج المطلق لا بدَّ أن يستعين في جميع شؤونه بالغنيّ المطلق الذي هو الله سبحانه وتعالى، فالممكنات محتاجة إليه فهي بلسان الحال تستعين به تعالى[2].

٢ـ (الاسم): مشتق من السمو، وهو الرفعة، أصله سِمو بالواو لأن جمعه أسماء، وقيل مشتق من الوسم أو من السمة.

فاسم: أصله من السمو، بمعنى الرفعة، ويصح أن يكون اشتقاقه من السمة، بمعنى العلامة. والهاء عوض الواو فيكون أصله الوسم، فالوسم والوسام والوسامة بمعنى العلامة، والحاصل أنَّ الاسم هو كلّ ما يدلُّ على الشيء، وأسماء الله تعالى إنَّما سُميّت أسماءَ لأنَّها دالّة عليه وعلامة عليه.

٣ـ (الله): اسم لا يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، وقد تكثرت الأقوال في أصله.

إن (الله) لفظ الجلالة، ولا يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، فالله أصله الإله، حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وإله من أله الرجل يأله بمعنى عبد، أو من أله الرجل أو وله الرجل أي تحيّر، فهو فعال بكسر الفاء بمعنى المفعول ككتاب بمعنى المكتوب، سُمِيَ إلها لأنه معبود أو لأنه مما تحيّرت في ذاته العقول، والظاهر أنه عَلم بالغلبة، وقد كان مستعملاً قبل نزول القرآن الكريم، ويعرفه عرب الجاهلية.

ومما يدل على كونه عَلماً أنه يوصف بجميع الأسماء الحسنى وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من غير عكس، فيُقال: الله الرحمن الرحيم ويقال:

---

(١) ظ: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن: ١: ٩.

(٢) ظ: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن: ١: ٩.

علم الله، ورزق الله، وذلك لأن وجوده سبحانه وتعالى، وهو إله كل شيء يهدي إلى اتصافه بجميع الصفات الكمالية.

و(بسم الله) قيل: المراد تضمين الاستعانة، فتقديره استعينوا بأن تسمُّوا الله بأسمائه الحسنى، وتصفوه بصفاته العليا، وقيل: المراد استعينوا بالله تعالى[1].

٤ـ (الرحمن): أي: ذو الرحمة.

٥ـ (الرحيم): أي: العطاف على عباده بالرزق والنعم.

و(الرحمن الرحيم): فقد قيل: إنما قدم (الرحمن) على (الرحيم)؛ لأن الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله تعالى، فوجب لذلك تقديمه، بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلى غيره[2].

إن (الرحمن الرحيم): هما من الرحمة، وهي وصف انفعالي وتأثر خاص يلم بالقلب عند مشاهدة من يفقد أو يحتاج إلى ما يتم به أمره، فيبعث الإنسان إلى تتميم نقصه ورفع حاجته، يرجع هذا المعنى إلى الإعطاء والإفاضة لرفع الحاجة، وبهذا المعنى يتصف سبحانه بالرحمة.

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٩٢.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٩٣.

الفرق ما بين (الرحمن) وبين (الرحيم)

لقد تعددت الأقوال بين المفسرين في الفرق بين الرحمن والرحيم، ومن هذه الأقوال:

الأول: أنّ صفة (الرحمن) تشير إلى الرحمة الإلهية العامة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين)، وصفة (الرحيم) إشارة إلى رحمته الخاصة بعباده الصالحين المطيعين، قد استحقوها بإيمانهم وعملهم الصالح، وحُرم منها المنحرفون والمجرمون.

الثاني: الرحمن (يختص بالدنيا)، والرحي

م (بالآخرة)، لتقدم الدنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنشآت الزمانية، فيكون المقدم للمتقدم والأخير للمتأخر، أو لذكر الرحيم مقرونا بالغفران والتوبة في جملة من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التوبة في الآخرة فيكون الرحيم مختصا بها.

الثالث: الرحمن على وزن فعلان، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، والرحيم على وزن فعيل، وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء.

الرابع: إنّ الرحمن من الأسماء الخاصة بالله تعالى، ولا تُستعمل لغيره، بينما الرحيم صفة تنسب لله ولعباده، فالقرآن الكريم وصف بها الرسول الكريم ﷺ.

الخامس: أنّ الرحمن ذو الرحمة الشاملة لكل محتاج إليها، وبجميع مراتبها التفضلية من دون اختصاص لها بنوع دون نوع، من الجماد والنبات والحيوان والإنسان وسائر المخلوقات، ومن أهم مصاديق الرحمانيّة تنظيم عالم التكوين بأحسن نظام.

إن من أجلى مصاديق الرحيمية هو تنظيم التشريع بأكمل نظام، وأثر التشريع إنما يظهر بالنسبة إلى المؤمنين العاملين به فاختصت الرحيمية بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيم في الدنيا بالتشريع، وفي الآخرة بالجزاء.

إعراب ألفاظ البسملة

إن إعراب ألفاظ البسملة هو كالآتي:

١ـ ﴿بِسْمِ اللهِ﴾: (الباء) حرف جر أصله الإلصاق، والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية.

إن الباء في (بِسْمِ اللهِ) متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداءُ مستقر أو ثابت (بِسْمِ اللهِ). وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بـ(بِسْمِ اللهِ).

فـ(بِسْمِ اللهِ) في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين.

واختار كثير من المتأخرين كونه فعلاً خاصًا متأخرًا، أما كونه فعلاً، فلأنَّ الأصل في العمل للأفعال، وأما الأسماء فلا تعمل إلاَّ بشرط، وأما كونه خاصًا فلأنَّ كل مبتدئ بالبسملة في أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له.

فمثلاً: الذي يريد أن يقرأ يضمر (أقرأ) أي: بسم الله أقرأ، والذي يريد أن يأكل يضمر (آكل) أي بسم الله آكل وهكذا، فهذا معنى كونه خاصًا؛ لأن تقديره (بِسْمِ اللهِ) أبتدئ عامٌّ لا يدل على تعيين المقصود.

أما كونه متأخرًا فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود، ولأنَّ أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

فإن قال قائل: ما معنى متأخر؟

الجواب: أنَّك تضمر الفعل متأخرًا؛ فلا تقول: أقرأ بسم الله؛ ولكن تقول: (بسم الله أقرأ).

فإن قال قائل: ما هو الأرجح في هذه المسألة؟

فالجواب: الأرجح أنها متعلقة بفعل لما تقدم.

إن حذف العامل له فوائد: منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله تعالى. ومنها: أنَّ الفعل إذا حذف صحَّ الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم.

وباء (بسم الله) للمصاحبة، وقيل: للاستعانة والتبرك فيكون التقدير: (أبتدئ حال كوني مستعينًا بذكره متبركًا به).

وأما ظهوره في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1]، و﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا﴾[2]؛ فلأنَّ المقام يقتضي ذلك.

---

(١) سورة العلق، الآية (١).

(٢) سورة هود، الآية (٤١).

لقد حذفت الألف من (بسم الله) في الخط اختصارًا وتخفيفًا؛ لكثرة الاستعمال، وأما إذا كتب: (باسم الرحمن وباسم القاهر).

فقال الكسائي والأخفش (تحذف الألف)، وقال يحيى بن زياد: لا تحذف إلاَّ مع بسم الله فقط لكثرة الاستعمال فيه.

فـ(اسم): اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، (والاسم) عند البصريين مشتق من السمو. وقال الكوفيون: أصل اسم: (وسم) من السمة وهي العلامة؛ لأنَّ الاسم علامة لمن وضع له.

٢ـ ﴿اللَّهِ﴾: مجرور بالإضافة. فـ (اللهِ): اسم الجلالة في محل جر مضاف إليه، وشبه الجملة متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ابتدائي بسم الله. أو هو متعلق بمحذوف فعل تقديره أبدأ بسم الله.

٣ـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: مجروران، لأنهما صفتان لله تعالى. فـ (الرحمنِ): صفة مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة. و(الرحيمِ): صفة ثانية مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة أيضاً. وجملة البسملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

فضل البسملة وسبب الابتداء بها

إن من المهم الوقوف على فضل البسملة، وذكر سبب الابتداء بها، وذلك كالآتي:

أولاً: فضل البسملة:

روي عن ابن عباس عن النبي الأكرم ﷺ انه قال: «إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله برآءة للصبي، وبراءة لأبويه، وبراءة للمعلم»[1].

وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»[2].

ثانياً: سبب الابتداء بالبسملة:

يقول السيد الطباطبائي: «الناس ربما يعملون عملاً أو يبتدئون في عمل ويقرنونه باسم عزيز من أعزاءهم، أو كبير من كبرائهم؛ ليكون عملهم ذاك مباركاً بذلك متشرفاً، أو ليكون ذكرى يُذكرهم به، ومثل ذلك موجود ايضاً في باب التسمية، فربما يسمون المولود الجديد من الإنسان، أو شيئاً مما صنعوه أو عملوه كدار بنوها أو مؤسسة أسسوها باسم من يحبونه أو يعظمونه، ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد، ويبقى المسمى الأول نوع بقاء ببقاء الاسم، كمن يسمي ولده باسم والده ليحيي بذلك ذكره فلا يزول ولا يُنسى.

وقد جرى كلامه تعالى هذا المجرى، فابتدأ الكلام باسمه عز اسمه ليكون ما يتضمنه من المعنى معلماً باسمه مرتبطاً به، وليكون أدباً يؤدب به العباد في الأعمال والأفعال والأقوال، فيبتدؤوا باسمه ويعملوا به، فيكون ما يعملونه معلماً باسمه منعوتاً بنعته تعالى، مقصوداً لأجله سبحانه، فلا يكون العمل هالكاً باطلاً مبتوراً، لأنه باسم الله الذي لا سبيل للهلاك والبطلان إليه.

وذلك أن الله سبحانه يبين في مواضع من كلامه: أن ما ليس لوجهه الكريم هالك باطل، وأنه: سيقدم إلى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم، فيجعله هباء منثوراً، ويحبط ما صنعوا ويبطل ما كانوا

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٨٩.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٨٩ـ٩٠.

يعملون، وأنه لا بقاء لشيء إلا وجهه الكريم، فما عُمل لوجهه الكريم، وصنع باسمه هو الذي يبقى ولا يفنى، وكل أمر من الأمور إنما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب، وهذا هو الذي يفيده ما رواه الفريقان عن النبي ﷺ كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر... والأبتر هو المنقطع الآخر...»[1].

كما ويقول الشيخ محمد هادي معرفة: «البسملة، شعار الإسلام وشاخصته التي فاقت سائر الشعارات، والرابط الذي أحكم من أواصر هذه الأمة بالمبدأ الأعلى ذي القوة المكين»[2].

لقد كان للاقتداء بالنبي الأكرم ﷺ الدور الباز في التأكيد على الابتداء بالبسملة، ولولا ذلك لبقيت مقيدة بسور القرآن الكريم فقط.

جزئية البسملة من السورة القرآنية

إن هناك آراء قد وردت حول ذلك، وهي كما يلي:

١ـ رأي علماء الشيعة:

أجمعَ علماء الشيعة على أنّ البسملة جزء من سورة الحمد وكلّ سور القرآن الكريم، وكتابتها في مطالع السور أفضل شاهد على ذلك، وذكر البسملة معمول به منذ زمن النبي الأكرم ﷺ.

قال الشيخ الطبرسي: «أتفق أصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة، وأن من تركها في الصلاة بطلت صلاته، سوآء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، وأنه يستحب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة... ولا خلاف في أنها بعض آية من سورة النمل... أنها افتتاح للتيمّن والتبرك»[3].

لقد اتفقت الشيعة الإمامية على أن البسملة آية من كل سورة بدأت بها[4]، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس، وابن المبارك، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم والكسائي[5]. وهناك روايات متناثرة

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ١ : ١٠ـ١١.

(٢) معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع: ١ : ٣٠٧.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان: ١: ٨٩.

(٤) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ٩: ١٤٩.

(٥) ظ: العياشي، تفسير القرآن الكريم: ٢: ٧٣.

في أن البسملة ليست آية من السور القرآنية، وقد يكفي في الرد عليها إجماع المسلمين على ذلك[1]

٢ـ رأي علماء السنة:

أمّا علماء أهل السنة، فاختلفوا في ذلك، وهذه أقوالهم، فيما يلي:

أ ـ قال الشافعي: إنها آية من أول الحمد، وفي كونها آية من كل سورة قولان: أحدهما: إنها آية من أول كل سورة.

والآخر: إنها بعض آية من كل سورة، وإنما تتم مع ما بعدها فتصير آية.

ب ـ قال أحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيدة، وعطاء، والزهري، وعبد الله بن المبارك: إنها آية من أول كل سورة حتى أنه قال: من ترك (بِسْمِ الله الرحمن الرَّحِيمِ) ترك مائة وثلاث عشرة آية.

جـ ـ قال أبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وداود: ليست آية من فاتحة الكتاب، ولا من سائر السور.

د ـ قال مالك والأوزاعي وداود: يكره أن يقرأها في الصلاة، بل يكبر، ويبتدئ بالحمد، إلا في شهر رمضان، والمستحب أن يأتي بها بين كل سورتين تبركاً للفصل، ولا يأتي بها في أول الفاتحة.

هـ ـ قال أبو الحسن الكرخي: ليس عن أصحابنا رواية في ذلك، ومذهبهم الإخفاء في قراءتها، فاستدللنا بذلك على أنها ليست من فاتحة الكتاب عندهم، إذ لو كانت منها لجهر بها كما يجهر بسائر السور، وقال أبو بكر: ثم سمعناه بعد ذلك يقول إنها آية تامة مفردة في كل موضع أثبتت فيه إلا في سورة النمل، فإنها بعض آية في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2].

---

(١) ظ: الحويزي، تفسير نور الثقلين: ٢: ١٧٦.

(٢) سورة النمل، الآية (٣٠).

افتتاح الأمور بالبسملة

لقد دلت جملة من الروايات المباركة على مطلوبية (محبوبية) الابتداء بـ (البسملة) عند افتتاح الأمور، كما ودلت على ذم تركها في كل أمرٍ ذي بال، بل في كافة الأمور صغيرة كانت أم كبيرة.

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام انه قال: «إن الله يقول: أنا أحقّ من سئل، وأولى من تضرّع إليه، فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير وعظيم: بسم الله الرحمن الرحيم...»[1].

وروي أيضاً عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام أنه قال: «... إن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم حدّثني عن الله عز وجل أنه قال: كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر»[2].

وما رواه جميل بن درّاج، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تدع بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان بعده شعر»[3].

وكما دلت الأخبار على استحباب الافتتاح بالبسملة في الكلام، كذلك فقد شملت الأدلة والروايات موضوع كتابتها ايضاً، ومن تلك الأخبار:

عن سيف ابن هارون مولى آل جعدة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين»[4].

وروايات أخرى كثيرة قد دلت على محبوبية الابتداء بالبسملة في كل الأمور، وعند كل المهمات، وفي مقدمة جميع الأعمال.

---

(١) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٧: ١٦٩.

(٢) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٧: ١٧٠.

(٣) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ١٢: ١٣٦.

(٤) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ١٢: ١٣٦.

تفسير البسملة

١ـ (بسم): أي أُسمي على نفسي بسمةٍ من سمات الله تعالى، والسمة هي العلامة، وعلامة الإنسان هي العبودية لله تعالى.

٢ـ (الله): لفظ الجلالة، المستحق للعبودية والطاعة، والمستحق لإطلاق لفظ (الله) عليه، إذ أن هذا اللفظ لا يطلق على غيره.

٣ـ (الرحمن): أي واسع الرحمة، وتشمل رحمته كل شيء.

٤ـ (الرحيم): أي العناية الخاصة بعباده المؤمنين دون غيرهم، وذلك لتفضيلهم، وليس لتمييزهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الرحمان، أسم خاص بصفة عامة، والرحيم، اسم عام بصفة خاصة»[1].

إلا أنهما في (البسملة) مقرونان معاً، وهنا لا بدّ من قراءتهما معاً (جمعاً)، فيكون المراد بـ(الرحمن الرحيم): الرحمة الشاملة المقرونة به تعالى، وذلك لمن يتصف بصفة الرحمة من البشر.

إن الكلام عن (البسملة) واسعٌ جداً، فهي سُنة وخُلق قرآني راقي جداً، ولولا أن النبي الأكرم ﷺ قد أستعملها في غير القرآن الكريم، لما استعملناها في غير القرآن الكريم، لذلك فإن هناك حكمة بالغة لكي تخرج عن القيد القرآني لتصبح أساساً ومطلعاً في كل كلام، وفي كل كتاب، وفي كل مقدمة وتقديم.

لكن السؤال هنا: هل عرفنا حقيقتها؟ وهل اعطيناها حقها؟

الجواب: كلا.

إننا لم نعتبرها إلا نوعاً من الجمالية، تضاف إلى الكلام، وتُزين بها الكتابة، أو كلوحة تُعلق على الجدار، أو كجدارية توضع في الساحات، إلا اننا ـ وبحق ـ قد أفرغناها من محتواها الحقيقي، فجعلناها (ايقونة)، وجردناها من الحياة.

إن المراد بالبسملة ليس قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم) لفظاً فقط، بل إن المراد بها أمور كثيرة منها:

١ـ الذكر: بأن نذكر الله سبحانه وتعالى دائماً، وان نبقى ذاكرين له، فيكون ذكره دائم على السنتنا، ولا يفارقنا.

---

(١) الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي: ١: ١٢١.

٢ـ الحب: فالمذكور كثيراً، ومن لا نغفل عن ذكره، هو المحبوب، ولا يوجد حبيب نحبه بصدق ونغفل عن ذكره.

٣ـ التوكل: فإن كان المذكور، والمحبوب، هو الله سبحانه تعالى، الإله الخالق، فإننا بذكره وبحبه نتوكل عليه.

٤ـ الاستعانة: فذكره تعالى كونه الخالق الإله يستدعي الاستعانة به في كل مسألة وعلى كل ملمة.

٥ـ الاقتداء: فإن كان المذكور المحبوب رحيماً، فمن اللازم علينا أن نقتدي به، فنكون محلاً للرحمة اقتداءاً به سبحانه وتعالى.

٦ـ التطبيق العملي: إن الرحمة لا توصف باللسان فقط، ولا نكتب عنها الأشعار فقط، ولا نتكلم بها في الخطب فقط، بل تحتاج إلى التطبيق العملي، البعيد عن الرياء، والبعيد عن المّن، والبعيد عن التبجح

وقفة مهمة

إن هناك نظرة قرآنية قائلة: بـ (لزوم أن يبدأ كل عمل ببسم الله تعالى)، وهذا صحيح، إذ يمكن معرفة ذلك من خلال استعراض أربعة أمثلة، هي:

١ـ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١].

٢ـ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٢].

٣ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣].

٤ـ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٤].

لقد علّمنا القرآن الكريم في بداية كل سورة أن نبدأ عملنا بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، وأن نعطر اسماعنا وقلوبنا وأرواحنا بهذا الذكر الشريف؛ لأنه ينور القلب ويهب الروح الصفاء والقوة والنشاط،

---

(١) سورة الحمد، الآية (١).

(٢) سورة العلق، الآية (١).

(٣) سورة هود، الآية (٤١).

(٤) سورة النمل، الآيات (٢٩ـ٣١).

وبدء الأعمال بهذه الروح يوصل إلى الغاية المرجوة، فهذا خُلق قرآني، وعنصر قرآني مهم، كون القرآن الكريم هو القدوة، وهو كلام الله سبحانه وتعالى.

ففي الآية الأولى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والتي تصدرت كل سور القرآن الكريم (ما عدا سورة براءة) يُعلم الباري تبارك وتعالى الإنسان أن يبدأ عمله بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، ويستعين به في أداء أعماله وتنفيذ خططه.

أما في الآية الثانية، فهو كلام عن خطاب جبرائيل الأمين عليه السلام في بداية البعثة للنبي الأكرم محمد ﷺ في دلالة على التكليف الإلهي بالنبوة، والتبليغ، والهداية الإلهية، من خلال دستور، ولا بدّ للدستور من بداية وديباجة، وبدايته هي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وفي الآية الثالثة بيان لقصة نبي الله نوح عليه السلام وذلك عندما حلت لحظة الطوفان، ولحظة انطلاق سفينة نوح في عباب ذلك الطوفان الهائج والمدمر، فكانت بداية الأمر الإلهي هو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾.

أما في الآية الرابعة والأخيرة يتوضح كلام في كتاب من النبي سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ بعد أن أخبره (الهُدهُد) عن قومها وعبادتهم للأصنام

لماذا لم ترد البسملة في سورة التوبة المباركة؟

إن هناك ثلاثة آراء في مدرسة مفسري الشيعة الإمامية، حول ذلك، هي:

الرأي الأول: وهو لصاحب الميزان، وحاصله: لم تُذكر البسملة لأن سورة براءة مقاربة للأنفال، فكانتا كسورة واحدة، لأن الأولى في ذكر العهود وسورة براءة في رفع العهود. فقال: الأرجح بحسب الصناعة ما يدل من حديثهم على أنها ملحقة بسورة الأنفال[1].

فقد روي عن الأئمة عليهم السلام، عن أبي العباس، عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: «الأنفال وسورة براءة واحدة»[2]. كذلك روي عن الإمام الصادق عليه السلام[3]، وكذلك روي عن أبي بن كعب، وعن عثمان.

الرأي الثاني: وهو لأبن عباس، حيث قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام: لِمَ لم تُكتب بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال عليه السلام: «لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان»[4]. وأشار إلى هذا الوجه كذلك السيد الخوئي في تفسيره[5].

الرأي الثالث: وهو للشيخ ناصر مكار الشيرازي، حيث قال: بدأت بالبراءة من قبل الله من المشركين، وإعلان الحرب عليهم، واتباع أسلوب شديد لمواجهتهم، وبيان غضب الله عليهم، وذلك لا يتناسب والبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) الدالة على الصفاء والصدق والسلام والحب، الكاشفة عن صفة الرحمة واللطف الإلهي. وقد ورد التعليل عن الإمام علي عليه السلام.

يعتقد بعض المفسرين بأن سورة براءة في الحقيقة تتمة لسورة الأنفال، لأن الأنفال تتحدث عن العهود وبراءة تتحدث عن نقض تلك العهود فلم تذكر البسملة بين هاتين السورتين لارتباط بعضها ببعض، وقد ورد عن الأمام الصادق عليه السلام هذا المعنى أيضاً، ولا مانع أن يكون السبب في عدم ذكر

---

(١) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ٩: ١٤٩.

(٢) العياشي، تفسير العياشي: ٢: ٧٣.

(٣) الحويزي، تفسير نور الثقلين: ٢: ١٧٦.

(٤) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ٢: ٣٣.

(٥) ظ: الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ٤٣٣.

البسملة مجموع الأمرين آنفي الذكر معاً، فالأول ناظر إلى الرواية الأولى الواردة عن الإمام علي عليه السلام، والثاني يشير إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام[1].

أما القول بأن البسملة في كل سورة تختلف عن البسملة في سورة أخرى، أو أن البسملة في داخل سورة براءة تختلف عن البسملة الافتتاحية، أو أنها من عند نبي الله سليمان عليه السلام وليست قرآنية، فما ذلك إلا شطط، وتأثر بآراء المستشرقين والحداثيين ممن يريد إثارة الأوهام البائسة على القرآن الكريم.

(١) ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ٥: ٤٧٠.

الفهرس

المقدمة ٣

تفسير الاستعاذة ٥

﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ٥

الاستعاذة لغة واصطلاحاً ٦

آداب وأحكام الاستعاذة ٧

معاني الفاظ الاستعاذة ٩

صيغ الاستعاذة ١٠

توضيح المستعاذ به والمستعاذ منه ١١

المواطن التي وردت الاستعاذة بها ١٢

إعراب الاستعاذة ١٣

فضل الاستعاذة ١٤

حكم الاستعاذة ١٥

تفسير وتوضيح حول الشيطان الرجيم ١٦

الشيطان في القرآن الكريم: لمحة عامة ١٨

الشيطان والإنسان ١٩

تفسير الاستعاذة ٢٠

تفسير البسملة ٢٣

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٢٣

البسملة في اللغة والاصطلاح ٢٤

معاني ألفاظ البسملة ٢٥

الفرق ما بين (الرحمن) وبين (الرحيم) ٢٧

إعراب ألفاظ البسملة ٢٨

فضل البسملة وسبب الابتداء بها ٣٠

افتتاح الأمور بالبسملة ٣٣

تفسير البسملة ٣٤

لماذا لم ترد البسملة في سورة التوبة المباركة؟ ٣٧